Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الرابع
في ديوان الرسائل

قال أبو الفرج:

قد ذكرنا في المنزلة الثالثة من امر البلاغة ووجه تعلمها، وتعريف الوجوه المحمودة فيها والوجوه المذمومة منها، ما إذا وُعي كان الكاتب واقفاً به على ما يحتاج اليه. وبيّنا في المنزلة الرابعة، عند ذكر مجلس الإنشاء، وجوهاً من المكاتبات في الأمور الخراجية ينتفع بها، ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة في معناها.

وقد وجب الآن أن نذكر من المكاتبات في الأمور التي تخص ديوان الرسائل، ما يكون به مجزا[1] لمن أراد الكتّاب في معناه، وتطريق لمن قصد الكتّاب في سواه، مما يجري مجراه.

وإذا وصفنا ذلك وأتينا به، كنا مع ما[2] تقدم في المنزلتين الثالثة والرابعة، قد استوعبنا أكثر ما يحتاج اليه في امر الترسل الذي به قوام هذا الديوان، لأنه ليس يجري فيه شيء من الحسبانات ولا من سائر الأعمال خلا[3] المكاتبات وما يتصل بها.

ويحتاج المتولي له إلى أن يكون متصرفاً في جميع فنون المكاتبات، واضعاً لما ينشيه في موضعه، إذ كان للوزير أن يأمر بالمكاتبة في كل فنٍ من الفنون المعروفة (٩ ب) والغريبة الواردة.

وما يحتاج إلى ذكره في هذا الموضع، لينتفع بمروره مسامع من يؤثر التمهر في هذه الصناعة، ما حُكي عن أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح[4] كاتب المأمون، وكان يتولى له ديوان الرسائل، أنه قال: أمرني أمير المؤمنين أن اكتب بالزيادة في قناديل المساحد الجامعة، في جميع الأمصار، في ليالي شهر رمضان، قال: ولم يكن سبق إلى هذا المعنى أحد، فآخذه واستعين ببعض ما قاله. فأرقْت مفكرا في معنى أركبّه، ثم نمت فرأيت في المنام كأن آتيا أتاني، فقال: قل «فإن فيها أنساً للسابلة، واضاءةً للمتهجدة، ونشاطاً للمتعبدين، ونفيا لمكامن الرّيب، وتنزيها لبيوت الله عن وحشة الظلم»[1].

(١) في المطبوع (ص ٣٧) «مجزيا»
(٢) في الأصل «معما».
(٣) في المطبوع (ص ٣٧) «خلال» وهو خطأ واضح
(٤) انظر عنه البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، (القاهرة، ١٩٣١)، ص ٢١٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٨، تحقيق محمد نجم، (بيروت، ١٩٧١) ص ٢٧٩ وما بعدها.

(١)